

أحمد مراد: هناك جرائم واقعية سكتت عنها الرواية العربية

«لوكاندة بئر الوطاويط» مغامرة تختبر شغف الناس بالمجرمين الأذكياء



الجمال الروائي صناعة المتعة ومضاهاة الواقع الإنساني

يتصورها البعض ممنوعة أو محرمة، والدخول إلى الذات الإنسانية، وقرارة مشاعرها وتخيّلاتها، ولا الفن لديه لا يجيب على الأسئلة، ولا يعظ الناس، ولا يحضهم على الخيرات، فليست هذه، رغم مثالياتها، وظيفة الفن، وهذا ما يضعه في أحيان كثيرة في بوتقة هجوم وانتقاد مجتمعي تحت دعوى تقديمه لثيمات الجنس، أو طرحه لقضايا وجودية، وخلص إلى أن الجمال الروائي يعني صناعة المتعة ومضاهاة الواقع الإنساني بطريقة مدهشة وجذابة.

يُؤكد مراد أن إنكار جرائم القتل المتسلسل في العالم العربي لا يعني بالضرورة عدم وجودها، وإنما يوحي بوجود رغبة في إخفائها والتهوين منها تحت لافتة أن المجتمعات العربية أكثر صلاحاً واستقراراً من الغربية، وأنها لا تشهد قتل مجانين، تتعدّد ضحاياهم وتتكرر جرائمهم دون أن تكتشفها أجهزة الأمن.

طرحته الرواية كحكاية محقق بدائي مصري يعيش في سنة 1865، زمن الخديوي إسماعيل، ويستدعي لتصوير جريمة قتل أحد رجال الحاشية، ليُجد رموزاً محيطة بمسرح الجريمة، تُحيله إلى حكايات قديمة مرتبطة بئار موروث، لتبدأ سلسلة من جرائم القتل لشخص عدة يتسابق الجاني والمحقق في ما بينهما حولها. وتعمد الرواية إلى رسم حالة من الحيرة القصوى لمجموعة الغان تحيط بالحكاية منذ البدايات، ويبدأ تسريب الحلول بشكل تدريجي منقطع، يختلط فيه التاريخ بالخيال، وتتشابك مشاهد وحوارات ترسم أحوال الناس وأساليب حياتهم في ذلك الوقت.

يقول أحمد مراد في حوار مع «العرب»، إن المجتمعات العربية شهدت قبل سنوات فكرة الجرائم المتسلسلة،

على كشف الحقيقة مهما كانت مزعجة، والتي تعمل على إغلاق ملفات القضايا بأي شكل، والأخذ في الاعتبار ضرورة عدم إثارة الفرع في المجتمع. لم نسال أنفسنا، رغم إعجابنا الشديد بشخصية المحقق الشهير شرلوك هولمز، عن السبب في عدم وجود شخصية ماثلة له في العالم العربي، وكان الأسهل أن نسلّم بفكرة عدم وجود جرائم مماثلة، أو أن المجتمع أكثر صلاحاً، غير أن الحقيقة أننا نُنكر وجود جرائم محيرة لم يكتشف فاعلها الحقيقي أو استسلمت الشرطة أمام تناقض الأدلة لتفاصيل القضية على أي مشتبه فيه.

من هنا حاول مراد أن يقدم في روايته حكاية أخرى لجريمة اغتيال الجنرال الفرنسي كليبر في القاهرة سنة 1800، إذ التقى بطل الرواية بشخص مهمش ادعى أنه قتل كليبر وهرب ثم ألقي بالسجين على شباب بنام في إحدى الحدائق، وهو سليمان الحلبي وفرّ، واعترف بالجريمة تحت التعذيب وتم إعدامه. هذه الحكاية على الرغم من اختلاقتها، فهي محاولة للفت نظر القارئ بأنه ليس من الضروري أن يكون المتهم المعترف بالجريمة قد ارتكبها بالفعل، وأنه لا يوجد يقين تام في ما هو مروى من أحداث.

كان التاريخ محل اهتمام الروائي المصري منذ بداية مشروع الأدبي، ووضح سعياً للدؤوب ل طرح الحكايات الأخرى للتاريخ عبر روايات سابقة مثل القول إن ثورة يوليو 1952 في مصر ليست ثورة، وإنما انقلاب، أو أن الأعداء بأن النبي موسى كان مصرياً، أو غيرها من الطروحات التي تلامس بحث جمهور القراءة من الشباب عن حكايات مغامرة لما عرفوه تاريخياً.

يؤكد الروائي المصري أن التاريخ في حد ذاته يمثل دراما إنسانية عميقة، وأن كل عهد من العهود التي مرت بها مصر، أو الدول العربية، يمكن أن يكون مادة خصبة لخيال أي روائي للتخليق في سماء الإبداع، والأمر مُتاح للجميع من

بناء جسر من التواصل بين الجمهور والأدب الحديث، ومن الضروري أن يغامر الروائي باقتحام حقول يتصور الناس أنها منغلقة، ويجرب، ويحاول، ويتعب في صناعة حكايته في ذهنه قبل أن يكتبها نصاً.

يؤكد الروائي المصري أن التاريخ في حد ذاته يمثل دراما إنسانية عميقة، وأن كل عهد من العهود التي مرت بها مصر، أو الدول العربية، يمكن أن يكون مادة خصبة لخيال أي روائي للتخليق في سماء الإبداع، والأمر مُتاح للجميع من

لكنها جُنبت عن عمد، وتم التهوين منها لأنها تعكس سوءات مجتمعات يدعي البعض أنها مثالية.

ويوضح أن الطبيعة الإنسانية واحدة، ووجود شرير ذكي مفتون بالقتل والتمثيل بضحاياها غلا وحقداً، مسألة وارد في بلاد الشرق، مثلما هو متجدد وظاهر في العالم الغربي. وحسبنا نعلم أن السفاح المصري المشهور محمد منصور المعروف بـخط الصعيد الذي قتلته الشرطة المصرية سنة 1947 قتل وحده أكثر من 75 رجلاً.

وظهر في بداية الألفية الثالثة شقي مصري آخر هو رمضان منصور، والذي عرف بالتوربيني، وارتكب سلسلة جرائم قتل لأطفال بعد اغتصابهم وصل عددها إلى 32 جريمة، قبل أن يسقط في أيدي الشرطة سنة 2007.

يوضح أن الطبيعة الإنسانية واحدة، ووجود شرير ذكي مفتون بالقتل والتمثيل بضحاياها غلا وحقداً، مسألة وارد في بلاد الشرق، مثلما هو متجدد وظاهر في العالم الغربي. وحسبنا نعلم أن السفاح المصري المشهور محمد منصور المعروف بـخط الصعيد الذي قتلته الشرطة المصرية سنة 1947 قتل وحده أكثر من 75 رجلاً.

وظهر في بداية الألفية الثالثة شقي مصري آخر هو رمضان منصور، والذي عرف بالتوربيني، وارتكب سلسلة جرائم قتل لأطفال بعد اغتصابهم وصل عددها إلى 32 جريمة، قبل أن يسقط في أيدي الشرطة سنة 2007.

أحمد مراد، روائي مصري من مواليد القاهرة في فبراير من سنة 1978، التحق بمعهد السينما وتخرج فيه سنة 2000، وحصلت أفلام تخرجه على جوائز دولية في أوروبا، وصدرت له روايته الأولى «فيرتيجو»، وترجمت إلى الإنجليزية والإيطالية والفرنسية، قبل أن تتحول إلى مسلسل تلفزيوني، ثم كتب رواية «تراب الماس» التي تحولت إلى فيلم من بطولة أسر ياسين ومنه شلبي، ومن إخراج مروان حامد.

وصدرت له بعد ذلك روايات «الفيل الأزرق»، و«1919»، و«أرض الإله»، و«موسم صيد الغزلان». وكتب عدة أفلام سينمائية أشهرها «الفيل الأزرق» جزأيه الأول والثاني، و«الأصليين»، وفاز الروائي بجائزة البحر المتوسط للإبداع، ووصل إلى القائمة القصيرة في رواية البوكري العربية عام 2013. كما فاز بجائزة الدولة المصرية للثقافة في الأدب عام 2017.

يشير مراد في حوارته إلى أن التحقق الروائي يستلزم دوماً التجرد والتجريب والإبحار بسفينة الإبداع إلى عوالم جديدة، وعالم الجرائم المتسلسلة خصب ومثير، يمثل جذبا وإدهاشا، ويسهم في

لكنها جُنبت عن عمد، وتم التهوين منها لأنها تعكس سوءات مجتمعات يدعي البعض أنها مثالية.

ويوضح أن الطبيعة الإنسانية واحدة، ووجود شرير ذكي مفتون بالقتل والتمثيل بضحاياها غلا وحقداً، مسألة وارد في بلاد الشرق، مثلما هو متجدد وظاهر في العالم الغربي. وحسبنا نعلم أن السفاح المصري المشهور محمد منصور المعروف بـخط الصعيد الذي قتلته الشرطة المصرية سنة 1947 قتل وحده أكثر من 75 رجلاً.

وظهر في بداية الألفية الثالثة شقي مصري آخر هو رمضان منصور، والذي عرف بالتوربيني، وارتكب سلسلة جرائم قتل لأطفال بعد اغتصابهم وصل عددها إلى 32 جريمة، قبل أن يسقط في أيدي الشرطة سنة 2007.

يؤكد الروائي المصري أن فكرته لتقديم نفسية المجرم، وأساليبه، وسبل تفكيره، وكيفية تخطيطه لإنهاك وجعل متبعية في حيرة، استلزمت منه بحوثاً ودراسات عميقة تجاوزت علم التاريخ لتلطف إلى علم النفس السلوكي، وعلم الإجرام، وعلم التشريح.

ويضيف أنه يدرس علم التشريح باستفاضة منذ كتابة روايته «تراب الماس» ويتابع بشغف واهتمام برامج كتاب الجنس، لدرجة قراءة دلالات كل شيء في الطب الشرعي الحديث. تتميز رواية «لوكاندة بئر الوطاويط» بلغة جديدة تحمل تعبيرات مستحدثة، وحاولت رسم الزمن المحكي عنه بإدماج مجموعة من الأمثال الشعبية القديمة، في لغة السرد والوصف، مع تعبيرات صادرة كانت تستخدم في الماضي ولم يستمر استخدامها، وإشارات وصفية تشبه الشريط السينمائي الذي يمر أمام القارئ.

يوضح أحمد مراد أن العودة إلى تاريخ الرواية كان أمراً بالغ الصعوبة، لأن تلك الفترة ليست من الفترات الثرية في الأحداث، ولا توجد مصادر عديدة تحدثت عن الحياة في مصر في ذلك الوقت، واستعان ببعض الكتابات الأجنبية

لرحالة أوروبيين زاروا مصر خلال عهد الخديوي إسماعيل، إلى جانب إشارات قليلة وردت في بعض كتب التاريخ.

ويقول، إن اختياره لزمان الرواية خضع لتصوير منطقي حول نهاية عصر القواصة (الشرطة البدائية) الذي ورثه الخديوي إسماعيل عن والي محمد علي باشا، لبدء عصر الشرطة بمفهومها الحديث، ونشوء علم البحث الجنائي في مصر على أيدي الطليان، حيث شهدت الفترة السابقة مباشرة على ذلك استخدام الحاذقين وأصحاب المهارات الخاصة في تتبع الجرائم، وهو ما حدث مع بطل الرواية.

ويذكر أن العالم العربي لم يعرف مهنة المخبر الخاص حديثاً، وكان لا بد من البحث عن ثغرة تاريخية يمكن دس حكاية مخبر خاص فيها، يتميز عن أجهزة الشرطة التقليدية بإصراره

لكنها جُنبت عن عمد، وتم التهوين منها لأنها تعكس سوءات مجتمعات يدعي البعض أنها مثالية.

ويوضح أن الطبيعة الإنسانية واحدة، ووجود شرير ذكي مفتون بالقتل والتمثيل بضحاياها غلا وحقداً، مسألة وارد في بلاد الشرق، مثلما هو متجدد وظاهر في العالم الغربي. وحسبنا نعلم أن السفاح المصري المشهور محمد منصور المعروف بـخط الصعيد الذي قتلته الشرطة المصرية سنة 1947 قتل وحده أكثر من 75 رجلاً.



مصطفى عبيد كاتب مصري

يموت الإبداع بالتمسك، ويزوي بالتقليد، وباستنساخ التجارب. وقد تذبذب الدهشة بالسير في المسارات ذاتها التي سلكها السابقون. وتختفت المهوية بإعادة روي حكايات لها بدايات متشابهة ونهايات متوقعة. ليس هذا الجمال، إنما أن تصنع عالماً جديداً، والنجاح أن تقدم ما لم يقدم من قبل، وأن تجرب ما لم يجرب، وتقول ما لم يقل، وتحكي ما لم يُحك، وترسم عوالم لم ترسم بعد.

هذا في ظني ما كان يدور برأس الروائي والسيناريست المصري أحمد مراد وهو يفكر ويبنى ويدون روايته الأحدث «لوكاندة بئر الوطاويط» التي صدرت مؤخراً عن دار الشروق بالقاهرة، وبدأت بمثابة سحب مباحث للرواية العربية نحو عالم جديد لم تعرفه من قبل، لتحكي واقعا معيشيا، ومسكوتا عنه في بلادنا، حتى أننا نستغرب أن تضمه رواية.

المسكوت عنه

يؤكد مراد أن إنكار جرائم القتل المتسلسل في العالم العربي لا يعني بالضرورة عدم وجودها، وإنما يوحي بوجود رغبة في إخفائها والتهوين منها تحت لافتة أن المجتمعات العربية أكثر صلاحاً واستقراراً من الغربية، وأنها لا تشهد قتل مجانين، تتعدّد ضحاياهم وتتكرر جرائمهم دون أن تكتشفها أجهزة الأمن.

طرحته الرواية كحكاية محقق بدائي مصري يعيش في سنة 1865، زمن الخديوي إسماعيل، ويستدعي لتصوير جريمة قتل أحد رجال الحاشية، ليُجد رموزاً محيطة بمسرح الجريمة، تُحيله إلى حكايات قديمة مرتبطة بئار موروث، لتبدأ سلسلة من جرائم القتل لشخص عدة يتسابق الجاني والمحقق في ما بينهما حولها. وتعمد الرواية إلى رسم حالة من الحيرة القصوى لمجموعة الغان تحيط بالحكاية منذ البدايات، ويبدأ تسريب الحلول بشكل تدريجي منقطع، يختلط فيه التاريخ بالخيال، وتتشابك مشاهد وحوارات ترسم أحوال الناس وأساليب حياتهم في ذلك الوقت.

يقول أحمد مراد في حوارته مع «العرب»، إن المجتمعات العربية شهدت قبل سنوات فكرة الجرائم المتسلسلة،



الواقع قد يكون أغرب من الخيال